مالك بن الريب يرثى نفسه

دراسة تحليلية نقدية

د.عبد الحميد الضوى لبيب على

مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

١- التعريف بالشاعر ونشأته .

٢- تصعلكه وأسبابه .

٣-موقفه مع سعيد بن عثمان .

٤- حوار ابنته معه .

٥- نزعتان فى حياة مالك .

٦- وفاته .

٧- جو القصيدة النفسى ومناسبتها .

٨- المصادر التى أوردت القصيدة .

٩- المستوى الأفكارى والمعانى .

١٠- المستوى العاطفى .

١١- المستوى اللفظى .

١٢- المستوى التراكيبى .

١٣- المستوى الموسيقى .

١٤- التصوير الأدبى .

١٥- القصيدة .

اسمـــــــه :

هو مالك بن الريب بن حوط بن قرط من بنى مازب بن عمرو التميمى يكنـى أبا عقبة (السمطه ٤١٩/٠) ويقول عنه د/عبد الله أحمد باقازى فى كتابـه رثـاء النفس فى الشعر العربى صـ٨٣ لسنة ١٩٨٧م دار الجبل أنه : مـالك بـن الريـب التميمى (شاعر إسلامى ، أديب ظريف) زعم بعضهم أنه هجـا الحجـاج وهـرب منه) . [١]

نشأتـــــه :

نشأ فى بادية بنى تميم بالبصرة ، يبدو أنه نشأ فقيرا معوزا ، وربمـا كـان ذلك دافعه للسرقة فى مكة حين حبس فى سرقة فشـفع فيـه شـماس بـن عقبـة المازنى.[٢]

ويبدو أن الفقر والعوز استمرا مع مالك ، عندما كبر مالك بدأت نفسه تـهفو إلى مجارات أشراف قومه فى الإطعام والإكرام والأنفاق وكيف لا تستشرق نفسه إلـى مجاراتهم ومحاكاتهم وقد (كان ظريفا أديبا) [٣] (شاعرا) [٤] وكان من أجمل العرب جمالا وأبينهم بيانا) [٥] ولكن العوز وقلة ذات اليد والحيلة لا يبلغه ما تـهفو إليـه نفسه . ونفسه لا ترضى بالقعود عن ذلك الطموح .

عضوية فى نادى وعصابة الصعلكة : وحينذاك وجد نفسه عضوا مـهما فى عصابة مسلحة تمارس التشطر وقطع الطريق والفتك والتصعلك وكان من أعضاء

---

[١] رثاء النفس فى الشعر العربى للدكتور عبد الله أحمد باقازى صـ٨٣ طبعة دار الجبـل وانظـر الأمثال جـ١، صـ ٣٠٥ .

[٢] الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٦٠، جـ ١ ،تحقيق وشرح أحمد شاكر ، دار المعارف ، سنة ١٩٦٦

[٣] معجم الشعراء صـ٢٦٥ .

[٤] الأغانى ٣٠٤/٢٢ .

[٥] السمـط ٤١٩/١ .

هـذه العصابة من وصل به الخبث أن كان مضرب المثل فقيل : ألص مـن شـظاظ كما كانت تضم فتاكا محترفين [١] منهم أبو حردبة المازنى وغويث أحد بنى كعب بـن مالك بن حنظلة (فساموا الناس شرا) [٢] وعاثوا فى الأرض فسادا وتزايد خطرهـم وأشتهر أمرهم فنشروا الرعب والذعر والخوف بين القوافل التجارية وقوافل الحجيج حتى قال فيهم الواجز : [٣]

الله نجـاك مـن القصيـم	وبطـن فلـج وبنـى تميـم
ومـن أبـى حردبـة الأثيـم	ومـالك وسـيفه المسـموم
ومـن شـظاظ الأحمـر الزنيـم	ومـن غويـث فـاتح العكـوم

وبطن فلج مسرح عملياتهم على طريق الحاج [٤]

محاولات القضاء على العصابة :

وعلى أثر ذلك جرت محاولات للقضاء عليهم ، كان أولاهـا حيـن طلبـهم مروان بن الحكم عندما كان والياً على المدينة من قبل معاوية رضى الله عنه فـهربوا ثم كتب مروان إلى الحارث بن أحطب الجمحى وهو عامله على بنى عمرو بن حنظلة فطلبهم فهربوا ...

وبعث إليهم الحارث بن حاطب مرة أخرى رجلا من الأنصار ، فأخذ مالك بـن الريب وأبا حردبة فبعث بأبى حردبة وتخلف الأنصاري مع القوم الذين كـان مـالك فيهم ، وأمر غلاما له فجعل يسوق مالكا فغافل مالك غلاما الأنصاري وعليه السـيف فأنتزعه منه وقتله به وشد على الأنصاري فضربه بالسيف حتى قتله وجعل يقتل مـن كان معه يمينا وشمالا ثم لحق بأبى حردبة فتخلصه ، وركبا ابل الأنصـاري ، وفـرا هاربين حتى أتيا البحرين وأجتمع عليهما أصحابهما ، ثم قطعوا إلى فارس فرار مـن

---

[١] انظر الشعر والشعراء جـ١ صـ٣٠٥ ، والأغانى ٢٢/٣١٩-٣٢٢ .

[٢] المصدر السابق ٢٢/٣٠٥ .

[٣] المصدر السابق ٢٢/٣٠٥ .

[٤] أنظر الطبرى جـ٥ ، ص ٣٠٥ ، وفلج اسم بلد ومنه قيل الطريق أخـذ منـه طريـق البصرة إلى اليمامة طريق بطن فلج

ذلك الحدث الذى أحدثه مالك [١] ومنذ ذلك أصبح السيف ضجيعا لمـــالك . ويصـور حاله من التوجس والترقب والتوشح بالسيف قائلاً :-

والســيف بينـــى وبيـــن الثـــوب مشـــعرة أخشى الحوادث أنى لم أكـــن وكـــلا

فقد (كان لا ينام إلا متوحشا بالسيف) [٢]

موقفه مع سعيد بن عثمان :

ولما ولى معاوية ابن أبى سفيان سعيد بن عثمان بن عفان خراسان شـــرج إليهما فى نفر من أصحابه ولما جاز ببطن فلج قيل لـــه : أن هنـــا قومـــا يقطعـــون الطريق على الحاج ويخيفون السبل فلو أخرجتهم معك . [٣]

ويبدو أن هذه الكلمة وقعت من سعيد موقعا حسنا فعرج إليهم . فلمـــا رأى سعيد مالكا أعجبه فقال له ويحك يا مالك ما الذى يدعوك إلى ما بلغنى عنك العـــداء وقطع الطريق . قال : يدعنى إليه العجز عن المعالى ومساواة ذوى المروات ومكافأة الأخوان . قال سعيد فإن أنا أعنيتك وأـتصحبتك أتكف عما كنت تعمـــل ؟ قـــال : أى والله , أكف كفاً لم يكف أحد أحسن منه .[٤]

موقفه مع ابنته حين هم بالخروج :

وحين هم مالك بالخروج مع سعيد تعلقن ابنته بثوبه وبكـــت وقـــالت لـــه . أخشى أن يطول سفرك أو يحول الموت بيننا فلا نلتقى . فبكى وأنشأ قصيدة مؤثـــرة تدل على عمق علاقته بأسرته منها :

أســكتى وقـــد حـــزرت بـــالدمع قلبـــى طالمـــا حـــــزد معكـــن القوبـــا

فعـــــس الله أن يدافـــــع عنـــــى ريـــب مـــا تحذريـــن حتـــى أوؤبـــا

ودعـــــى أن تقطعـــــى الآن قلبـــى أو ترينى فى رحلتـــــــى تعذيبا [٥]

---

[١] الأغانى ٢٢/٣٠٩ والمحبر ٢٠٣ .

[٢] المرجع نفسه ٢٢/٣١١ .

[٣] انظر الطبرى ٥/٣٠٥-٣٠٦ وقد جاء فى معجم الشعراء أن الذى استصحب مالكا هو سعيد بـــن العاص وهو فيما يبدو جاء من تشابه الاسمين إذ لم يذكر هذا غير المازنى كما أن ســـعيد بـــن العاص لم يول خراسان .

[٤] ذيل الامالى ٣/١٣٥ والأغانى ٢٢/٣٠٥ .

[٥] الأغانى ٢٢/٣١٧ .

وقد أجرى له سعيد خمسمائة درهم فى كل شهر [١] ، وقد كان وجود دخل فرصة لمالك ليستغنى عن التصعلك والتشطر وقطع الطريق . ورغبته فيه واضحة من قوله :-

أن الله يرجعنى من الغزو لا أرى وان قل مالى طالبا ماورائيا

النزعات التى نلمحها فى حياة مالك :

هناك نزعتان نلمحهما فى حياة مالك بن الريب وهما :-

١- النزعة الإيمانية المتمثلة بالتوكل على الله .

وضعت جنبى وقلت الله يكلؤها مهما تنم عنك من عين فما غفلا

لما ثنى الله على شر عدوته رقدت لا مثبتا ذعرا ولا بعلا

وقوله :-

وسيغنينى المليك ونصل سيفى وكرات الكميت على التجار

والإيمان بالقدر :-

ليس شيئا ذو المعالى بعزيز عليه فادعى المجيبا

أنا فى قبضة الإله إذا كنت بعيدا أو كنت منك قريبا

والالتجاء إلى الله :

فعسى أن يدافع عنى ريب ما تذرين حبتى أووعبا

وعجيب أن يوجد هذا الإحساس الإيماني فى قلب رجل يمارس قطع الطريق ويحترف التشطر . ولعله كما سلف زعن لهذا الأمر مضطرا . ولعل نفسه كانت تلومه وتقرعه من سلوك ذلك المسلك الشائن ولعل تلك الاستجابة الفورية المصدرة بالقسم وبين يديه (أى) الجوابية والتأكيد على أنه سيكف كفا لم يكف أحد أحسن منه . لعل ذلك يفسر ما كان يختلج بنفسه بين ما يتمناه لنفسه وبين ما هو واقع فيه.

---

[١] نفسه ٢٢/٣٠٥ وقد جعلهما فى ذيل الامالى دنانير وعقب الميمنى فى ذيل السمط ٦٤ على ما فى الأغانى لقوله (وهو تحول مقارب) .

ومن ثم كانت فرصته بالتخلص من ذلك الجو النفسى الخانق الذى صاحبه زمن صعلكته أما ما سماه هو (الضلالة) وهو يفرج أن باع ذلك الضلال بالهدى ، واستبدل التصعلك بالغزو :

ألم ترنى بعت الضلالة بالهدى وأصبحت فى جيش ابن عفان غازيا

ثانيا : العلاقة الوثيقة والشعور الرقيق تجاه أسرته : فهو حين تشبثت ابنته بثيابه حين خروجه مع سعيد لا يملك إلا أن يرجوها الصمت فقد قطعت دموعها نياط قلبه :

وقد قلت لابنتى وهو تكرى بدخيل الهموم قلبا كئيبا
وهى تذرع من الدموع على الخد ين لوعة الفراق غروبا
أسكتي قد حززت بالدمع قلبى طالما حزد معكن القلوبا
ودعى أن تقطعى الآن قلبى أو ترنى فى رحلتى تعذيبا

وحين يدهمه المرض ويحس بدنو أجله يصور مشاعر زوجته ويخاطبها :

تساءل شهلة قفالها وتسأل عن مالك ما فعل
ثوى مالك ببلاد السعد وتسقى عليه رياح الشمل
لذلك شهلة جهزتنى وقد حال دون الاياب الآجل

ويتراءى فى ذلك الموقف موقف ابنته من سفره فيقول :-

تقول ابنتى لما رأت وشك رحلتى سفارك هذا تاركى لا أباليا

ويرى أن تركه أبناءه مختارا أمر يستحق الإشادة والإعجاب :

فالله درى يوم أترك طائعا بنى أعلى الرقمتين ومواليا

ويذكـــر أبويـــه :

ودر كبيـــرى اللـــذيـــن كليهـــــــــما على شفيـــــق مـــــــــا ألانيا

ويذكر أمه متساءلاً عما يحدثه لها خبر موته من البكاء وموصيا إياها بزيارة قبره :

فياليت شـــعرى هـــل بكـــت أم مـــالك كمـــا كنـــت لـــو عـــالوا نعيـــك باكيـــا
إذا مت فاعتـــــادي القبور فسلمـــى على الرمس أسقيت السحاب النواديـــا

وهناك خلاف فى قصة موته وزمانه :-

وقد جعل الزركاى وفاته سنة ٦٠هـ ولا أدرى على أى شئ اعتمد ؟ [١]

وخمن الملوحى جامع الديوان أنه لم يتجاوز خمسين سنة ولم يذكر تعليـــلا لتخمينه ذاك ولكنى أرى وفاته كانت سنة ٥٨هـ لأن بداية ولاية سعيد بـــن عثمـــان على خرسان كانت سنة ٥٦هـ هجرية و أقام معه سنتين [٢] بعدها رحل عن عالمان إلى العالم الأخر بعد حياة حافلة بالفتك والصعلكة .

وها أولا نعرض القصيدة للدراسة والنقد جو النص ومناسبته ومصادرة .

مناسبة القصيدة :

أشار بن قتيبه إلى انه قالها عندما حضرته الوفاة ، وأشار أبو الفـــرج إلـــى أنه حين مرض واشرف على الموت قال القصيدة هذه قبل موته يرثى بـــها نفســـه ، كما أشار المرزبانى إلى أنه قالها فى علته ، وقال اليزيدى (حدثنى محمد بن الحسن الأحوال قال سمعت المدائنى يقول رثى مالك بن الريب نفسه بقصيدته هذه قبل موتـــه بسنة [٣] وفى كتاب رثاء النفس فى الشعر العربى أنه لدغته أفعى كانت لجفـــة فلمـــا

---

[١] انظر الكامل فى التاريخ ٣/٥١٢،٥٢١ .

[٢] المصدر السابق ، جـــ ٣ ، ص ٥١٢ ، ٥٢١ .

[٣] أمال اليزيدى جـــ٤٤ الطبعة الأولى بمطبعة جمعية دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن الهند ص٣٨

أحس الموت استلقى على قفاه وانشد هذه القصيدة وقيل مرض فى خراسان فرثى نفسه قبل موته بسنة ، وقيل أنه كان فى الغزو مع سعيد فطعن فمات . [١]

توثيق النص :

وردت قصيدة فى عدد ضخم من المصادر ولعل أقدمها الشعر والشعراء ٣٦٠/١ وما بعدها (٨ أبيات) وآمالى اليزيدى ٤٤/٣٩ (٥٣بيتا) والاختيارين ٦٢-٢٩ (٥٥) والعقد الفريد ٢٠٢/٣-٢٠٣ (٢١بيتا) وذيل الأمالي ١٣٥/٣-١٣٨ (٥٨بيتا) والأغاني ٢٠٣/٢٢ (٥أبيات) وجمهرة أسعار العرب ٧٥٩/٢-٧٦٧ (٥١بيتا) وروى صاحب الأغاني ٣٢٤/٢٢ (قال أبو عبيدة الذى قاله ثلاثة عشرة بيتا والباقى منحوا ولده الناس عليه) ولم يشر إلى الأبيات التى تصح نسبتها إليه وعقب الميمنة فى ذيل السمطى ٦٤ على ذلك بقوله : ويشهد له ان البيت الـ (٥١) يوجد فى كلمة بجعفر بن علبة الحارثى ، على أنه كان من القريض فى شغل شاغل وإنما النشير على المسرة فكيف بالإسهاب فيه .

والكلمة المشار إليها ما جاء فى الأغاني ٤٧/١٣ عند قول جعفرعلبة الحارثى .

وقود قلوصى بينهن فإنها ستبرد أكبادا وتبكى بواكيا

حيث قال أبو الفرج : (وهذا البيت بعينه يروى لمالك بن الريب فى قصيدته المشهورة التى يرثى بها نفسه)

ولكن لا أعتقد أن كلام أبى عبيدة دقيق - على جلالة قدر حفظه له بخاصة وانه - كما أسلفت لم يشر على ما يصلح من قصيدة مالك بن الريب .

و أكاد أجزم أن القصيدة - شأنها غيرها من مشهور القصائد تتداخل مع غيرها مما يوافقها فى الوزن والقافية والروى كما أشار الميمنى إلى بيت علبة بن

---

[١] رثاء النفس فى الشعر العربى للدكتور/ عبد الله أحمد باقازى طبعة دار الجبل-١٩٧٨ صـ٨٣ .

جعفر – فكيف بالقصائد التى تزيد على ذلك فتتحد مع القصيدة فى الحد كما فى بيت سلامة بن جندل (ديوانه ص ١٩٨) :

تقول ابنتى أن انطلاقك واحدا إلى الردع يوما تاركى لا أباليا[١]

وفى قصيدة مالك :

تقول ابنتى لما رأت طول رحلتى سفارك هذا تاركى لا ابالیا

وبعض المصادر تورد بيت مالك برواية بيت سلامة والمصادر يختلف بعضها عن بعض فى ترتيب أبيات القصيدة كما سنرى حينما نعرضها فى أخر البحث .

الأفكار والمعانى :

هذه القصيدة من القصائد القلائل فى موضعها فالشاعر فيها يرثى نفسه وهو بين يدى الموت والقصيدة عبارة عن استعادة سريعة لشريط ذكريات الشاعر واستعراض سجل حياته الحافل بالأحداث والرؤى وتصوير حى ناطق لحالته النفسية فى ساعة من أحرج الساعات أخطرها وهو ساعة الاحتضار ودنو الأجل والقصيدة بجميع راوياتها تؤلف اثنين وستين بيتا وموضعها رثاء النفس وتمتاز القصيدة بوحدة الغرض الشعرى ووحدة الجو النفسى وأن افتقرت شأنها شأن القصائد العربية جملة إلى الوحدة العضوية .

وقد جاءت معانى القصيدة منبعثة ومتأثرة بالحالة الحرجة للشاعر حيث الغربة والنأى عن الوطن والأهل لشاعر مرهف الإحساس شديد التأثر سريع العبرة . ثم يهجم عليه مع الغربة التى لا يكاد يحملها مرض وطأته تشتد عليه مع الغربة حتى يرى نفسه بين ساعة وأخرى واقعا فى شباك المنية ومن هنا نجد شدة الحنين عند الشاعر إلى مواطنه وتكراره لإبراز رمزين له وهما : الفضى والرمل وكأنهما

---

[١] ديوان سلامة بن جندل : ص ١٩٨ .

ترياق يذيبه الشاعر فى فمه يجد أثره فى تخفيف مصابه . وهناك فى موطنـــه دواع كثيرة وروابط عميقة فالأبوان المشفقان والفتاة المترقبة والأم والأخوات والخالـــة . بل والأهل جميعا والأرض والزوجة الباكية والعيـــس وســوقهن والمــنزل الواســع وركوبهن والحرب .

ولكن الشاعر بمرارة عميقة يراوح بين ذلك الحنين الذى يستطعمه بـــالتذكر وبين واقعة ، فإذا خفت وطأة المرض أو هكذا شعر واشتاق وحن إلى ديـــاره وراح بإصرار يقسم أن لا يعود إلى الاغتراب وحين يلفت إلى نفسه ويحس بالعجز ويـــرى شدة المرض يرضى بواقعه ويرى الموت بين عينيه فيدعو صاحبـيه إلـى تجـهيزه ويتوسل إليهما أن يفسحا له فى قبره ، وينزعج من حالـــة الضعـف التـى جعلتـه يستجدى صاحبتيه فإذا هو يجتر أمجاده وبطولاته السالفة . وبين هـــذا وذاك يشـكو قسوة الغربة وشدة وقعها عليه ويعجب كيف خرج مختاراً طائعا طامعا فـــى المـــال ضاربا بضراعة ابنته وشفقة أبويه عرض الحائط .

ثم يرى سذاجة هذه المطالب ودنو الموت هو الحقيقة الماثلة يلتفح باليـــأس فيدعو صاحبيه بأن ينعياه إلى أهله وقومه ويدعو أمه إلـــى البكـــاء وزيـــارة قـــبره المنفرد ويستعرض بسرعة . موقف أمه وأبنته وخالته وزوجته حينما يبلغـــهن نبـــأ موته .

وقد صبغت تلك المشاعر جو القصيدة بـــالحزن العميـــق والألـــم المحـــض والمعاناة النفسية الحادة والحسرة الشديدة .

ولم تكن نفسية الشاعر لتسمح له بالافتتان بالصعود والغوص علـــى رقيـــق المعانى فجاءت معانيه واضحة جلية تعكس نفســـية صاحبـــها . أن نظـــرة عميقـــة للقصيدة تجعلنا نقف مبهورين أمام هذا الشاعر وقوة ثباته فى لحظة لا يمكـــن فيـــها لأى إنسان أن يتمالك فيها كامل وعيه وإحساسه بالشكل الذى ظهر فيه مـــالك مـــن خلال القصيدة التى بين أيدينا أن القارئ مهما أعاد قراءة القصيدة فإنه لا يملها أبـــداً وكأنها تثر لديه إحساسا باحتمال مواجهته لمثل هذا الموقف .

العاطفـــة :

حين نقرأ قصيدة مالك بن الريب أو نسمعه نجد أنفسنا تنساق معها انســياقا تلقائيا وتتفاعل معها تفاعلا عميقا لأن كلامنا يشعر أن الشاعر يعبر تعبيرا ينم عـــن موقف يمكن أن ينتهى إليه أو يواجهه أى منا لكن مالكا أنفرد بشجاعة عجيبة وثبات نادر وهو يسجل تلك اللحظات التى يجد فيها أنفاسه تضيق وتتقطع شـــيئا فشـيئا (وهو يلقى بأخر كلماته) ويتلو بيانه الأخير فى الحياة فى لحن جنائزى .

وها نحن نرى القصيدة وما هى إلا تجسيدا لمشاعره الإنسانية الملتاعة فـــى لحظة من أندر اللحظات وأخصبها بالانفعالات النفسية الرهيبة هى لحظـــات النهايـــة والكارثة الكبرى .

وفى أول القصيدة نجد الشاعر يفيق على نفسه بعيدا جد البعـــد عـــن تلـــك الديار التى ارتبط بكل شئ فيها . بأهلها وحيوانها وجمادها ، بأرضها وسمائها .

وأصبحـــــت فـــى أرض الأعادى بعدما أرانى عن ارض الأعادى قاصيـــا

كأنه قد ترك بلاده فى الليل فإذا هو يصبح وقد قطع تلك المسافات الشاســعة واستوى قاصيا فى خراسان .

وهاهو الهوى يدعوه ويصيح به بعد أن عجز عن اللحـــاق بـــه وإذا مـــالك العنيد المتمرد لا يملك نفسه فيلتفت وراءه بتلقائية محييا الهوى وبمجـــرد الالتفاتـــة تنحدر عبراته ويسارع بمسحها ويتقنع بطرف ردائه حياءا أن ينفرط دموعـــه بيـــن صحبه . ومع وطأة المرض الذى ألم به وشدة الشوق الذى يجدها وتلك الغربة التـــى يعيشها ويعانى من وحشتها يمتطى صهوة الحلم فإذا ابنته تتشبث بثوبه وتتشفع إليـــه بالعبرات أن لا يرحل ويدعها فهى تخشى أن يحول بينها وبينه ريـــب المنـــون وإذا أبواه يزجيانه النصح ويرجوانه العدول وملامح الشفقة لا تغادر وجهيـــهما وهـــؤلاء رجال قومه يرون لحاجاته وعناده واستجابته فلا يحركون ساكنا ولا يتخذون موقفـــا من هذا اللجوج المعاند إلا قيدوه وشدوا وثاقه هاهو يخرج ممتطيـــا العنـــاد متأبطـــا

اللجاجة وهاهى الظباء تسع له عشية فلا يتشاءم أو يتطير بل يمضى مُيمماً وجهه صوب خراسان طائعاً مختاراً راغبا فى المال حريصا على غسل الماضى من صفحة حياته . ويزداد عليه الألم فيقطع عليه شريط الحلم ويفتح عينيه على الوحشة والغربة والبعد فيجلد ذاته بسياط اللوم ويقسم أن سلم أن لا يعود لمثلها .

أن الله يرجعنى من الغزو ولا أكن ... وأن قل مالى طالبا ما ورائيا
لعمري لئن غالت خراسان هامتى ... لقد كنت عن باب خراسان نائيا
فإن انج من بابى خراسان لا أعد ... إليها وأن منيتمونى الأمانيا

ولكن أنىَّ له السلامة وجيوش المرض تحتل كل يوم من جسمه موقعا جديدا والمنية تتربص به كل لحظة .. إذن فالموت قادم لا محالة لكن ستكون وطأته أشد فليس حول مالك أحد يبكيه أو يشعر بفقده .. أن عدة الفارس من سيف ورمح وجواد هى التى لا تفارقه وتشهد بطولاته فلتبك هى إذن :

تذكرت من يبكى علىَّ فلم أجد ... سوى السيف والرمح الردينى باكيا
واشقر محبوك يجر لجاجة ... إلى الموت لم يترك له الموت ساقيا

وهاهو الفارس الشجاع اللجوج المعاند (صريع على أيدي الرجال بقفرة يسوؤن لحده .

انطفأت جذوة الأمل .. وتجيش نفس مالك بمشاعر الحزن وهو يرى نفسه قاب قوسين من الموت بعيدا عن أكتاف السمينة وتلك النسوة اللاتى يعز عليهن العشية ما به . ويلح حب الوطن المتجدد فى نفس مالك والشعور العميق بوطأة الغربة ووحشتها فإذا هو يدعو أصحابه قبل ان تنطفئ جذوة الحياة بين جنبيه .

أقول لأصحابى ارفعوني فإنه ... يقر بعينى أن سهيل بداليا

فليكحل عينيه قبل انطفائهما برؤية سهيل المرتفع فى سماء بلاده علة أن يرى فيه بلاده ... وأين سهيل من مرو ؟ وحيث أقبل الركب مرو فقد كانت منية مالك تتراءى

له وإذا فليلق البيان الأخير على أصحابه وليتوازعوا المـــهمات . فليـهيئوا الســدر والأكفان وليحفروا القبر بآلة تناسب التاريخ المجيد لمالك . وإذا كان مالك لن يكلـف أصحابه حملا ويرضى بعد موته (بأن يجراه إلى قبره) يرجوهما أن لا يحسداه مـن هذه الأرض الواسعة وأن يوسعا فى قبره قليلا .إنه الضعف الإنسانى الـذى ينتـهى بهذا الأمل الساذج .

ويجتر مالك وهو يتهيأ للموت ومن ثم الجر إلى القبر أمجاده السالفة التـى تقلب فيها بين الترف والنعمة وبين البطولة ومقارعة الأهوال .

وقبيل الانطفاء يركب زورق الحلم مرة أخرى متجاوزا المسافات الشاسـعة ليخاطب أمه بان تزور قبره إذا هو مات ويرى العيس تنطلق فى صحـراء موفـورة النشاط تحمل الغادين والرائحين ... ويرى الصحراء الواسعة الرحبـة وهـى تعـج بالناس بعد أن نزلوها بنسائهم عقب هطول الغيث وهى تبدو فى أكمل زينة وأطيـب ريح لكن الشاعر بعيد عنها فهى لا تزال تتشح بذلك الوشاح وينزلها أولئك الأقـوام مع أن الشاعر ليس معهم عليها وأنه هناك تنزف منه دماء الحياة .

وهكذا تمتد حرارة العاطفة على مساحة النص حتى لا تكاد تترك فيها زاويـة دون ان يسكب فيها الشاعر من انفعالاته وأناته و أحزانه حتى تكاد تجرى فى عروق القصيدة رنات الحزن وآهات الشجن لكنها نشيج محزون وزفـرات مريـض فجـاء إيقاعها متناسقا مع حالة المرض التى يعيشـها الشـاعر إلا عندمـا يجـتر ذكـرى الفروسية والطعان فإن نبراتها ترتفع حدتها وتشتد .

وقد اجتمعت عناصر القصيدة كلها فى تصويـر عاطفـة الشـاعر الملتـاع فالمعانى التى دارت حول الغربة والحنين والمرض والنعى والبكاء والضعف والعجـز جاءت تستدر العطف وتستجلب الرثاء . والألفاظ جاءت موحية ملقية بظلالها علـى النص كما نرى فى النأى والهوى والزفرة والبنت والألـم والأب والسـفر والنجـاة والاغتيال والأماني واختلال الجسم وحلول المنية وحفر القبر والسدر والأكفان الخ ..

كما جاءت الألفاظ بإيقاع وصورة ترسم الحالة الشعرية والنفسية للشاعر فالتكرار (الغضى ، ليت اصبحت بأرض الأعادي ، در ، غد ، ليت شعرى ، ....) له إيحاؤه الواضح كما نرى تلك المدات التى تتمدد على صدر كل بيت ، فهى توحى بهول الفجيعة المتصلة بذلك الصوت ذى النغمة الباكية وكأنه ينبعث من وادى عميق.

كما نلحظ كثرة الانفعال التى لم يخل منها بيت من أبيات القصيدة ولعل لذلك دلالته كما قال أحد النقاد .

(كثرة الأفعال تدل على الانفعال)

وقد نجح هذا الشاعر المعلول المغترب فى أن يثير فى نفوسنا إحساسا قريبا من إحساسه الذى عاناه ، بنجاحه فى تصوير هذه التجربة المتفردة التى لم يكن فيها فارسا محاربا مغتربا فقط وإنما مثل فيها اغتراب الإنسان بصفة عامة أمام الموت ، على الرغم مما فى بعض أبياته الحزينة من طابع الفروسية الثائرة على صمت القبور وتكبيل الأكفان بعد صهيل الخيل وقعة السيوف والرماح وغير ذلك . ..

الألفـــاظ :-

ألفاظ القصيدة ألفاظ موحية تحمل شحنة من الظلال تجسد المعانى التى عرض فيها الشاعر ، فالألفاظ مثلا (ماشى ، يقطع ، دانيا ، دعانى ، حالت ، يرجعنى ، نائيا ، دنا ، مسيرك ، تراءت ، بدا ، البعد ، ادلجوا ، ترحل) تجسد ما يشعر به من البعد بينه وبين موطنه وأهله . والألفاظ (وثاقبا ، ارفعونى ، خذانى ، فجرانى ، تهيل على الريح) توحى بالعجز وتنضح بالاستكانة المطلقة والتجرد الكامل من القوة أى قوة ، الألفاظ (عبرة ، بنى ، كبيرى ، مقيم ، لياليا ، يالهف نفسى ، عزبة ، ودعت) تصور الخسرة والألم الذى يعتصر فؤاد الشاعر بل تأتى بعض الألفاظ لترسم اللوعة والحزن اللذين ترع بهما فؤاد الشاعر فإذا القصيدة تأتى صدى لذلك مترعة بألفاظ البكاء والعويل حتى لتحس أن دموع الشاعر قد بللت

أحرفها (يبكى ، باكيا ، بكت ، عانوا ، نعيك ، باكيا ، تبكى ، بواكيا ، بكين ، باكيه ، البواكيا ، تهيج)

وكأنك تسمع صوت العويل والنحيب على ذلك المفرد البعيد بل أن للقصيدة ألفاظا ترسم المناحة وتشبع جو القصيدة برائحة الموت وتعزف لحن النهاية الجنائزى فتتناثر فيها ألفاظ (الموت ، صريع ، لحدى ، سقمى ، وفاتيا ، فنائيا ، أوصالى ، يدفنونى ، مت ، القبور ، الرمس ، جدثا ، العظام) مع تلك المدات التى تكاد تنبعث من كل لفظة .

التراكيب :

جاءت تراكيب القصيدة محكمة النسج متينة التأليف تقع كل كلمة منها فى موضعها لتؤدى دورها فى الجملة من حيث المعنى والإيقاع على أجمل صورة كما فى قوله :

فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه ... وليت الغضى ماشى الركاب لياليا

وقوله :

ولما تراءت عند مرو منيتى ... وطال بها سقمى وحانت وفاتيا

وقوله :

(وخطا بأطراف الأسنة) و (خذانى فجرانى) و (غداة غد يا لهف نفسى على غد) و (ترى جدثا قد جرت الريح فوقه) و (بالرمل منى نسوة لورأيننى بكين وفدين الطبيب المداويا) ومما يضفى على القصيدة مسحة من الجمال التكرار الجميل لبعض التراكيب بما يحمله من إيحاء (ليت شعرى) و (قد كنت) و (يوما ترانى) وتراكيب القصيدة بعيدة عن الضرورات النحوية والإعرابية وضرورات التقديم والتأخير التى يضطر إليها الشاعر أحيانا لإقامة الوزن

وقد نوع الشاعر فى تراكيبه بين الخبر والإنشاء مما تخلصت معه القصيدة من الرتابة الإيقاعية المملة و امتلكت تنغيما جميلا متلونا بتلك المزاوجة بين الخبر والإنشاء وبين مختلف أدوات الإنشاء فنلاحظ أدوات الاستفهام التى تنتصب فى بعض حنايا القصيدة بل لقد أطل أول أدوات الاستفهام من القصيدة فى افتتاحيتها وكأنه يهز الملتقى هزا .

إلا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ؟

ولا يمضى سوى بيتين حتى تأتى علامة استفهام أخرى تثيره وتهزه : " ألم ترنى بعت الضلالة بالهدى) وكذا تأتى (أين) لتجمع بين التعجب والاستفهام وغيرها من أدوات الاستفهام وكذلك تأتى أدوات النداء بإيحائها الجميل متناثرا فى ثنايا القصيدة مثل : (فيا صاحبى رحلى) و (قفا صاحبا) كما تتناثر أفعال الأمر : (ارفعونى) (فانزلا) و (قوما) و(خطا) و(لا تحسدانى) (خذانى فجرانى) .

كما لم تخل القصيدة من أدوات التنبيه والتحضيض : (ألا ليت) (يا لهف نفسى) (فيا ليت شعرى) وقد أدى تلوين الأسلوب والتنويع فى الصيغ إلى تجسيد انفعال الشاعر واضطرام المشاعر فى نفسه القلقة المضطربة ، كما أضفى على القصيدة نوعا من الحيوية التى تبعث على التفاعل العميق معها .

الموسيقا :

تأتى قافية القصيدة (الياء الممدودة) لتجعل لها إيقاعا بديعا يمثل رنة الفجيعة بتلك النغمة الباكية ويستوعب الآهات التى يجسدها الشاعر فى ألفاظه وتراكيبه لتنعكس تلقائيا على المتلقى فإذا هو يجد فى هذه القافية المستوعبة مجالا للتنفس عن نفسه عندما تتزاحم فى مساحتها الأحزان والآهات وقد تضافر مع القافية فى أحداث وتنويع موسيقى القصيدة بعض الألفاظ المتخيرة الموحية بتكرارها او تناسب حروفها . كما أن لتكرار بعض الحروف فى البيت الواحد أثره فى الإيقاع كما مر فى الحديث عن الألفاظ والتراكيب وقد صاحبت موسيقى القصيدة عاطفة الشاعر إذ

جاءت شجية هادئة فى جملة القصيدة وارتفعت نبرتها فى مواطـــن تذكـــر الشـــاعر بمجده الغابر

التصوير الأدبى:

أما صوره الخيالية فإنه قريبة محدودة فقلما نجد لـــه خيـــالاً محلقـــاً إذ أن أخيلته قريبة من الواقع ، مستمدة من البيئة التى عاش فى أحضانها ومع ذلك فإنـــه يطالعنا أحيانا بصور جزئية رائعة ، يعتمد فيها أكثر ما يعتمد على التشبيهات الحسية المستمدة من البيئة .

هاهو يشخص السيف والرمح تشخيصاً حياً فيجعلهما يبكيان عليه (استعارة مكنية) كما يشخص فرسه تشخيصاً حياً يجعله إنســـاناً يحـــس ويبكـــى لمصرعـــه (استعارة بالكناية) وكذلك " لم يترك له الموت ساقياً "

تذكـــرت مـــن يبكـــى علـــى فلـــم أجـــد سوى السيف والرمح الرديني باكيا
وأشـــقر محبـــوك يجـــرعنانـــــه إلى الماء لم يترك له الموت ســـاقياً

وها هو ذا يجعل الضلالة سلعة تباع (استعارة بالكناية) والهدى ثمناً لـــها " استعارة بالكناية " فاستبداله الهدى بالضلالة يشبه استبدال السلعة بـــالثمن ، وفـــى هذا إبراز للمعنوى فى صورة حسية تقوى المعنى وتؤكده يقول فى ذلك :

ألم ترنى بعت الضـــلالة بالهـــــــدى وأصبحت فى جيش ابن عفان غازيا

ويقول عن خراسان بعد رجوعه عنها وقد أدركه الموت :

لعمـــرى لئـــن غالت خراسان هامتى لقد كنت عن بابى خراسان نائيا

فقد شخص خراسان وجعلها حيواناً مفترسا يغتال هامته (استعارة بالكنايـة) وهو يقصد أنه خفضت هامته (كناية عن الذلة) أو المقصود غالته والتعبير بالهامـة من باب المجاز المرسل ، علاقته الجزئية .

وهو يصور المعركة بالرحى الطاحنة التى تخرق ثيابه وما أشـــبه الحـرب بالرحى ، على نحو ما يقول مالك :

ويـــوماً تـــرانى فى رحـــى مستديرة تخـــرق أطـــراف الرماح ثيابا

وأنه ليوصى أمه ، بأنها إذا علمت بموته تسعى إلى رمسه فتســلم عليــه ، وهاهو يشخص الجدث فيجعله إنساناً حياً يسمع السلام ، ويتلقى التحية والمقصـــود أن نسلم عليه هو ، وعبر بالجدث مجازاً مرسلاً علاقته المحلية .

وأنها لترى ذلك الجدث وقد جرت عليه الريح غباراً يشـــبه لـون الكســاء الرمادى ، أو وبر الإبل الرمادى الداكن ، يقول فى ذلك :-

إذا مـــت فاعتـــادى القبـــور وســـلمى على الرمـــس الســـحاب الفواديـــا
علـــى جـــدث قـــد جـــرت الريـــح فوقـــه ترابا كسحق المرنبانى هابيـــا [1]

وجملـــــة القـــــول :

تبين لنا من خلال هذه الدراسة الفنية أن قصيدة مالك بن الريب التى يرثـــى فيها نفسه تسرى فيها مسحة من الحزن والآهات المؤلمة والفجيعة والهلع والفـــزع والإحساس الحاد بالألم بطريقة غير عادية ، حيث اتخذت هذه القصيدة الموت محـورا لها تدور حوله صولات وجولات الشاعر فى شتى ميادين الحياة .

وقد تكاملت دروب التجربة الشعرية والشعورية معا لـــدى الشـــاعر تكـــاملا معنويا وجماليا فمن الناحية المعنوية التحمت فى التجربة الشعرية عنـــاصر الفكـــر والوجدان والشعور تلاحما أبرز قيمتها الفنية وتفردها بين نداتها فى رثاء النفـــس. -كما مر ذلك فى طيات البحث - فانطلقت رؤى هذا الشاعر مـــن عنـــاصر طبيعتـــه الجسمية والفكرية وحالته النفسية وما وصل إليه وقد اكتملت هذه الصـــورة وتلـــك

---

[1] الرمس : القبر ، والفوادى : جمع غادية وهى السحابة اليالى المطر ، المرنبانى : كساء من خز ويقال مطرف من وبز الإبل ، وهابيا : من هبا الغبار إذا أسطح أو اختلط بالتراب

الانعكاسات النفسية حين أحس بدنو الأجل وإقبال الموت فسجل هذا الانعكاس النفسى تسجيلا جماليا متكاملا قائلا :

فيا صاحبى رحلى دنا الموت فاحفرا ... يرابية إنى مقيم لياليا
وخطا بأطراف الأسنة مضجعى ... وردا على عينى فضل ردائيا
خذانى فجرانى ببردى إليكما ... فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا

فجاءت الصورة الشعرية منتمية إلى حالة النهاية المؤلمة لديه مشتملة على تجربته الروحية والعاطفية ومعبرة عن فكره وتصوره .

ولقد أسهمت هذه الصورة - مجتمعة - فى نقل الصراع النفسى المرير الذى عانى منه مالك وهو يتوقع بين لحظة وأخرى فقدان شريان الحياة وشعوره بإقبال الموت - من طور التجربة الوجدانية إلى طور التجسيد الفنى .

ولقد جاءت الألفاظ والتراكيب مؤكدة للعلاقة الوثيقة والحميمة بين اللفظ والحالة النفسية والشعورية للشاعر .

وأكدت تجربة الإحساس بالموت والتفكير فيه أن اللفظ فى القصيدة جزء لا يتجزأ ولا ينفصل عن هموم الشاعر وفكره وعاطفته ، وأوحت الألفاظ والتراكيب بنوعية التجربة التى تأثر بها الشاعر وأى تجربة تفوق تجربة الإحساس بالموت والحرمان من الحياة فالشاعر أحس أن الموت يدنو وأنه سيودع الدنيا فهالته أشباح الموت فانتابته حالة الهلع والفزع ومن ثم ازداد ألما على آلامه وحسرة على حسرته وأتخذ الشاعر من تصويره لجزئية الماضى وجزئية الحاضر - وهما صورتان داخل الصورة العامة لموقفه النفسى - وسيلة لإظهار الإحساس العام المسيطر على القصيدة الذى تسوده القتامة وتكسوه الكآبة وتشمله عاطفة ملتاعة متأججة بالحزن وعلى الرغم من أننا نرى أن الصورة الفنية دائما تنتمى إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع .

وأن مثل هذه الصور تشتمل على أجزاء من الواقع ، فإن هذه الأجزاء ليست مطابقة لها تماما ، وتفسير ذلك أن الشاعر لا يصور الواقع ، وإنما يصور الفكرة الكامنة فى أعماق مشاعره و أحاسيسه ، كما يراها ويحسها بعواطفه وحينما ينظر إلى أجزاء من الواقع وما يحيط به نراه يمزج رؤيته هذه بفكره وعاطفته فتكون الصورة الفنية التى يكونها خياله تنتمى إلى واقعه الخاص به ، ممثلة فى أفكاره وتصوراته المختلفة بعاطفته ومشاعره وهكذا يبدو الواقع فى الصورة الفنية خاليا من جفافه وجموده مغايرا تماما لصورته الحقيقية مكتسبا صفات جديدة تنتمى إلى ذاتية الشاعر ، ممثلة فى أفكاره وتصوراته ومشاعره ، منتمية إلى عالمه النفسى .

ومن مجموع الصور الجزئية تكونت الصورة الكلية التى انتهت إليها القصيدة ، ولهذا تعد الصورة الشعرية وعاء لأحاسيس الشاعر وعواطفه ومنتمى لأفكاره وخواطره

ولقد رسم مالك بن الريب ، من خلال هذه القصيدة النهاية المؤلمة التى يخص بها الإنسان وهو مقدم على مصيره المحتوم ، وهو مصير يشوبه الخوف والقلق ، ويسيطر عليه التفكير المؤلم ويتراءى من بين زواياه اليأس المحض ، هذا فضلا عما يعانيه الشاعر من غربة مؤلمة ، بعيدا عن أهله ووطنه ، محروما من الاستمتاع بالطبيعة الساحرة فى بلده ، فلم يكتب على الشاعر أن يعيش منعما بالهدوء ، والاستقرار ، فى أرضه ، بل عاش طريدا مشردا ، متنقلا من مكان إلى مكان ، وحينما هدى إلى الاستقرار النفسى ، وكان يمكنه بمرتع صباه ، إذا به يرحل إلى أشرف غاية ، وأسمى مقصد ، الجهاد فى سبيل الله ، ولم يكن متوقعا أن يثوى هناك فى خراسان .

لقد كان الموقف مشحونا بالمشاعر الصادقة ، ولذا كانت قصيدته هذه من عيون المراثى فى الأدب العربى كما ذكرنا ذلك فى البحث .

وقد أوردها القالى فى ذيل الأمالى والنوادر ثمانية وخمسون بيتا وهى كذلك فى الخزانة والديوان وشعراء أميون مع اختلاف فى بعض الأبيات ، وأوردها القرشى فى كتابه جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام اثنين وستين بيتا ، كما أوردها

اليزيدى فى أمالية ثلاثة وخمسون بيتا ، ثم قال رثى مالك بن الريب نفسه بقصيدته هذه قبل موته بسنه [١] وأورد السيوطى جزءا منها فى كتابه شرح الشواهد المغنى[٢] وقد روى الاصفهانى ، قال أبو عبيدة : الذى قاله ثلاثة عشر بيتا والباقى منحول ولده الناس عليه [٣] وأورد القالى : أن الجن هى التى قالت هذه القصيدة ترثيه [٤] بها على لسانه وأنها كتبتها فى صحيفة ووضعتها تحت رأسه .

يقول مالك بن الريب [٥]

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بجنب الغضىازجى القلاص النواجيا
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه ... وليت الغضى ماشى الركاب لياليا[٦]
وليت الغضى والأثل لم ينبتا معا ... فإن الغضى والأثل قد قتلانيا[٧]
لقد كان فى أهل الغضى لودنا الغضى ... مزار ولكن الغضى ليس دانيا[٨]
فيازيد عللنى بمن يسكن الغضى ... وأن لم يكن يازيد إلا أمانيا[٩]
احب الغضى والدمث حبا كأنما ... إذا الغضى والدمث أهلى ومالياً[١٠]

---

(١) امالى اليويدى صـ٤٤ الطبعة الأولى بمطبعة جمعية دائرة المعارف بحيدر اباد الدكن الهند ٣٨.
(٢) صـ٢١٥،٢١٦ المطبعة البهية بمصر .
(٣) الأغانى جـ٢٦ صـ٩٠٣٩ كتاب الشعب أشراف وتحقيق إبراهيم الابيارى .
(٤) انظر سمط اللالى للبكرى صـ٤١٩ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦ .
(٥) انظر الديوان صـ٨٨ وما بعدها مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ١٥جـ عام ١٩٦٩م وشعراء أميون صـ٤١ وما بعدها مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ١٩٧٦م وذيل الامالى والنوادر لأبى على القالى صـ١٣٥ وما بعدها دار الآفاق الجديدة بيروت ، وجمهرة أسعار العرب فى الجاهلية والإسلام للقرشى صـ٧٥٨ وما بعدها دار النهضة مصر للطباعة والنشر الطبعة الأولى الفجالة القاهرة ، كتاب الامالى لليزيدى صـ٣٩ وما بعدها الطبعة الأولى بمطبعة جمعية دائرة المعارف بحيدر اباد الدكن الهند ١٣٦٧هـ / ١٩٣٨م كجمر أصلب الجطب ومنه المثل على أحر من جمر الغض .
(٦) الركاب . الإبل لم يقطع الركب عرضه : ليته هو ورفاقه لم يغادروا موطنهم الأصلى .
(٧) هذا البيت زيادة فى أمالى اليزيدى صـ٣٩ .
(٨) لودنا الغض مزار : لو اقتربنا من أهلنا كان بوسعنا زيارتهم وكن الغض ليس دانيا : تحسر على الأمل الذى لم يتحقق .
(٩) هذا البيت وتاليه زيادة فى جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام للقرشى صـ٥٧٨ الطبعة الأولى دار النهضة مصر للطبع والنشر الفجالة القاهرة .
(١٠) الدمث : السهول من الأرض ، إذا : تجاه أو ناحية .

ألـم ترنـى بعـت الضلالـة بالـهدى ... وأصبحت فى جيش ابن عفان غازيا[١]
وأصبحت فى أرض الأعادى بعدما ... أرانى عن أرض الأعادى قاصيا[٢]
دعانى الهوى من أهل اود وصحبتى ... بذى الطبسين فالتفت ورائيا[٣]
أحببت الهوى لما دعانى بزفرة ... تفنعت منها أن الام رادئيا[٤]
أقول وقد حالت قرى الكرد بيننا ... جزى الله عمرا خير ما كان جازيا[٥]
أن الله يرجعنى من الغزو لا أرى ... وأن قل مالى طالبا ماورائيا[٦]
تقول ابنتى لما رأت طول رحلتى ... سفارك هذا تاركى لا أباليا[٧]
لعمرى لئن غالت خراسان هامتى ... لقد كنت عن بابى خراسان نائيا
فللـه درى يوم أترك طائعا ... بنى اعلى الرقمتين ومالياً [٨]
فإن أنج من بابى خراسان لا أعد ... إليها وأن منيتمونى الامانيا[٩]
ودار الظباء سانحات عشية ... يخبرن أنى هالك من ورائيا [١٠]
ودر كبيرى اللذين كلاهما ... على شفيق ناصح لونهانيا[١١]

---

(١) يقول : بعت من الفتك الضلالة بأن صرت فى جيش المسلمين وهذا البيت غير موجود بجمرة القرشى .

(٢) البيت زيادة فى أمالى السقالى وهو غير مذكور فى آمالى اليزيدى وجمهرة القرشى .

(٣) أود : موضع ببلاد بنى مازن "تميم" والطبسان كورتان بخراسان وقال ابن حبيب أود لبنى يربوع بالجرن ، معجم ما استعجم للبكرى صـ٢٠٩ .

(٤) الزفرة : الدمعة وفى أمالى اليزيدى ، (عن الأم بدل من الام وهى من عفة اميم صـ٤٠)

(٥) لم يذكر البيت فى جمهرة القرشى وهو زيادة فى امالى اليوزيدى وزذيل الامالى وفى أمالى اليزيدى دوننا بدلا بيننا .

(٦) يريد : لا أسافر وأقيم وأقنع بما عندى وهو أيضاً غير موجود فى الجمهرة وإنما ذكر فى أمالى اليزيدى وذيل الامالى وفى أمالى اليزيدى لا أكن بدل لا أرى .

(٧) تقول العرب : قيم لا أب لك ولا أبا لك على توهم الإضافة والبيت زيادة فى ذيل الامالى .

(٨) لله درى : تعجب من نفسه حين فعل ذلك ، أى اغترب عن ولده وماله وأهله . الرقمتان رقماتا فلج وهما خبروان خبراء ماوية وخبراء اليسوعة وهى أضخمها ، معجم ما أستعجم للبكرى .

(٩) البيت زيادة فى ذيل الامالى وأمالى اليزيدى .

(١٠) يريد بالسانحات. الظباء سنحت له فتطير منها ، وقال فى الخزانة وراء بمعنى قدام .

(١١) فى الجمهرة : ودر كبيرى اللذين كلاهما . على شفيق ناصح ما الأبيات ومعنى إلا : قصر .

ودر الرجـــال الشـــاهدين تفتكـــــى بامرى إلا يقصـــروا مـــن وثاقيـــا[١]
ودر الهوى من حيـــث يدعـــو صـــاحبتى ودر لجـــاجتى ودر انتـــــهائيا[٢]
ودر صبيـــــى اللذيـــــن تعلقـــــــا بثوبـــى وقـــد يقنـــت إلا تلاقيـــــا[٣]
تذكـــرت مـــن يبكـــى علـــى فلـــم أجـــد سوى السيف والرمح الردينـــى باكيـــا
وأشـــقر محبـــوك يجـــر عنانـــــه إلى الماء لم يترك له الدهر ســـاقيا[٤]
يقـــاد ذليـــــلا بعدمـــــا مـــــات ربـــه يباع بوكس بعد مـــا كـــان غاليـــا[٥]
ولكـــن بأكتـــــاف الســـمينة نســـوة عزيز عليـــهن العشـــية مـــا بيـــا[٦]
تركـــت بـــها شـــمطاء وقـــد دق عظمـــاء تعد إذا ما غيـــت عنـــها الليـاليـــا [٧]
تقـــول ابنتـــى لمـــا رأت وشـــك رحلتـــي ســـفارك هـــــذا تاركـــــا لا أباليـــــا
صريـــع علـــى أيـــدى الرجـــال بقفـــــرة يسوون لحدى حيث حـــم قضائيـــا [٨]
ولمـــا تـــراءت عنـــد مـــــرو منيتـــى وحل بها جسمى وحـــانت وفاتيـــا [٩]

---

[١] روى فى الجمهرة : ودر الرجال الواقعين عشية . هلا يفككون وثاقيا وفى أمالى اليزيدى تفتكى بدل تفتكى

[٢] فى خزانة الأدب جـ٢ صـ٢٠٣ والجمرة صـ٧٥٨ ودر الهوى من حيث يدعو صاحبه .

[٣] البيت زيادة فى جمهرة القرشى .

[٤] فى ذيل الامالى والديوان محبوكا وفى المهرة وشرح ديوان الحماسة جزء ٢ صـ٧٢ وأشقر خنذيذ وأراد بالخناذيذ من الخيل الطوال الطلاب شبهوها بخناذيذ الجبال وفى أمال اليزيد . وأشقر محذوف يجر عنانه . إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا

[٥] هذا البيت زيادة فى جمهرة القرشى : والوكس : النقصان .

[٦] فى الجمهرة : ولكن بأطراف السمينة نسوه ، وفى معجم ما أستعجم صـ٧٨١ وأن بأطراف السبيكة نسوة ويرى السكيبة بتقديم الكاف . والسمينة : موطنة الأصلى ويبدو أنه وقع بالقرب من بادية البصرة .

[٧] هذا البيت والبيت التالى له زيادة فى الجمهرة .

[٨] القفرة : التى ليس بها أحد ، وفى الجمهرة " يسوون قبرى "

[٩] وحل بها جسمى أوخل بمعنى أختل وأضطرب وهزل . وقف شرح شواهد المغنى صـ٢١٥ وحل بها سقمى وحانت وفاتيا .

أقـــول لأصحـــــابى ارفعونـــــى فإنـــــه ... يقـــر بعينـــى أن ســـهيل بداليـــا [١]
بـــان ســـهيلا لاح مـــن نحـــو أرضنـــــا ... وان ســـهيلا كـــان نجمـــا يمانيـــا [٢]
فيا صاحبى رحلـــى دنـــا المـــوت فـــإنزلا ... برابيـــة أنـــــى مقيـــم لياليـــا [٣]
أقيمـــا إذا ماســـــتل روحـــى فـــهيئا ... ولا تعجلانـــى قـــد تبيـــن شـــانيا [٤]
وقومـــا إذا مـــا اســـتل روحـــى فـــهيئا ... لى السدر والأكفـــان عنـــد فنائيـــا [٥]
وخطـــأ بـــأطراف الأســـــنة مضجعـــــى ... وردا على عينـــــى فضـــل ردائيـــا [٦]
ولا تحســـــدانى بـــــارك الله فيكمـــــــا ... من الأرض ذات العرض أن توسعا ليـا
خذانـــــى فجرانـــــى بثوبـــــى إليكمـــــا ... فقد كنت قبل اليوم صعبـــا قياديـــا [٧]
وقـــد كنـــت عطافـــا إذا الخيـــل أدبـــرت ... ريعا لدى الهجيا إلى مـــن دعانيـــا [٨]
وقد كنت محمـــودا لـــدى الـــزاد والقـــرى ... ثقيلا على الأعداء عضبـــا لســـانيا [٩]
وقد كنت صبارا على القرن فـــى الوغـــى ... وعن شتمى ابن العم والجارونيـــا [١٠]
فطـــــورا تـــــرانى فى رحى مستديرة ... تخـــــرق اطراف الرماح ثيابيا [١١]

---

[١] فى الجمهرة وشرح شواهد المغنى وامالى اليزيدى أقول لأصاحبى ارفعونى فأننى يريد أن سهيلا لا يرى بناحية خرسان فقال . ارفعونى لعلى أراه فتقرعينى برؤيته . لأنه لا يرى إلا فى بلده .

[٢] هذا البيت زيادة فى الجمهرة .

[٣] الرحل . كل ما يعد للرحيل . رابية أرض مرتفعة وروى فى الجمهرة . وما صاحبى رحلى وفـــى الشعر والشعراء : دنا الموت فاحفرا صـــ٣٦١ تحقيق احمد محمد شاكر دار المعارف ١٩٦٦م

[٤] اتضح أمرى وبانت نهايتى . وفى جمهرة وشرح شواهد المغنى " قد تبين ما بيا "

[٥] السدر : النبق والمراد ورقة لأنهم يغسلون به الميت وفى الجمهرة : والأكفان ثم ابكيالياً وفـــى شرح شواهد المغنى وأمالى اليزيدى.عند وفاتيا .

[٦] قال القالى فى ذيل الامالى : ويرى بأطراف الزجاج ويروع الرماح لمصرعى وفى امالى اليزيدى

[٧] وفى امالى اليزيدى : خذانى فجرانى ببردى .

[٨] ويروى : إذا أحجمت وفى الجمهرة وخزانة الأدب : سريعا إلى الهجيا .

[٩] هذ البيت زيادة فى أمالى اليزيدى .

[١٠] اضطربت رواية هذا البيت وفى الجمهرة .

وقد كنت محمـــودا لـــدى الـــزاد والقـــرى ... وعن شـــتمى ابـــن العـــم والجاروانيـــا
وقد كنت صبارا على القرن فى الوغـــى ... ثقيلا على الأعـــــداء عضبا لسانيا

[١١] الطلال:جمع طل وهو الريف والنعمة فى الجمهرة:وطورا ترانى فى ظلال ومجمع وفـــى أمـــالى اليزيدى فىطلاء ومجمع وفى رواية فى سرور ومجمع وفى الخزانة فطوراترانى فى ظلال ونقمة=

وقومـــا علـــى بـــئر الســـمينة أســـمعا ... بها الغر والبيـــض الحســـان الروانيـــا
بأنكمـــــا خلفتمـــــانى بقفـــــرة ... تهيل على الريـــح فيـــها الســـواقيا [١]
ولا تنســـيا عـــهدى خليلـــى بعدمـــا ... تقطـــع أوصـــالى وتبلـــى عظاميـــا [٢]
ولـــن يعـــدم الـــواون بثـــا يصيبـــهم ... ولن يعدم المـــيراث منـــى المواليـــا [٣]
يقولـــــون لا تبعدهـــــم يدفنونـــــى ... وأيـــم مكـــــان البعـــد إلا مكانيـــا
عـــداة غـــد بالـــهف نفـــس علـــى غـــد ... إذا أدلجوا عنـــى وصبحـــت ثاويـــا [٤]
وأصبحـــت لا أنضـــو قلوصـــــا يـــانع ... ولا أنتحـــى فـــى غـــروه بالمثانيـــا [٥]
واصبـــح مـــالى مـــن طريـــف وتـــالد ... لغيرى وكان المال بـــالامس ماليـــا [٦]
فيـــاليت شـــعرى هـــل تغـــيرت الرحـــى ... وحى المثل أوامست بفلج كما هيـــا [٧]
إذا الحـــى حلوهـــا جميعـــــا وانزلـــــوا ... بها بقـــرأ جـــم العيـــون ســـواجيا [٨]

=الرحى : موضع الحرب ومستديرة : حيث يستدير القوم للقتال ، وفى آمالى اليزيدى فطورا ترانى.

[١] الروانى : النواظر والرنو والنظر الدائم وفى الجمهرة .

وقومـــا علـــى بـــئر الشـــبيك فأســـمعا ... بـــها الوحـــش والبيـــض الحســـان الروانيـــا

وفى شرح شواهد المغنى وأمالى واليزيدى بها الحى والبيض الحسان الروانيا .

[٢] فى الجمهرة وأمالى اليزيدى : و لاتنسيا عهدى خليلى أننى .

[٣] البث : أسد الحزن وفى الجمهرة وآمالى اليزيدى : فلن يعدم الولدان بيتا يجننى .

[٤] الادلاج : السير فى أول اللسيل وفى الجمهرة .. إذا أدلجوا عنى وخلفت ثاويا .

[٥] البيت زيادة فى جمهرة القرشى : القلوص الابل الفنية المجتمعة الخلق وذلك من حين تركب إلى التاسعة من عمرها . لا أنضو . لا أتبع . المتن : الظهو ، ومتن الارض مأرتفع وصلب منها .

[٦] الطريف : المال المكتب والتالد : الموروث .

[٧] المثل : موضع بفلج يقال له رحى المثل وفلج موضع فى بلاد بنى مازن وهو فى طريق البصره إلى الكوفة ما بين الحفير وذات العسيرة وفيه منازل للحجاج ، معجـــم مـــا أســـتعجم للبكـــرى صـــ١٠٢٧ .

[٨] البقر : النساء ، جم القرون : أى ليست لها قرون ، سواج : سواكن وفى أمـــالى الـــيزيد حـــج اعيون أى مود العيون فواتر الطرف . وفى الجمهرة إذا القوم حلوها جميعا .

وعيـن وقـد كـان الظـلام يجنـها بسـفن الخزامـى مـرة والاقاحيـا [١]
وهل أتـرك العيـس العوالـى بـالضحى بركبانـها تعلـو المتـان الفيافيـا [٢]
إذا عصـب الركبـان بيـن عنـيزة وبولان عاجوا المبقيـات النواحيـا [٣]
فيـاليت شـعرى هـل بكـت أم مـالك كمـا كنـت لوعـالو نعيـك باكيـا [٤]
إذا مـت فاعتـادى القبـور وسـلمى على الرمس أسقيت السحاب الغواديا [٥]
علـى جـدث قـد جـرت الرمـح فوقـه ترابـا كسـحق المرنيـانى هابيـا [٦]
رهينـة أحجـار وتـرب تضمنـت قرارتـها منـى العظـام البواليـا [٧]

دكتور / عبد الحميد الضوى لبيب على

مدرس الأدب والنقد

---

[١] وفى الجمهرة : وعين قد كان الظرم يجنها .. بسفن الخزاومى نورها والاقاحيا السـوق : السـم ، والخزامى الافاح ضربان من النبت البمزهر ، وفى خزانة الادب وعين وفى امالى السـيزيد : بسـفن الخزامى غضة .

[٢] البيت غير مذكور فى آمالى اليزيدى ، المتان مفردها متن وهو المكان المرتفع وفى الجمهرة وهـى أترك العيس المراقيل بالضحى ... تعاليها تعلو المتن الفيافيا . المراقيـل : السـرعة والتعـالى : الارتفاع فى السير . وفى خزانة الادب .
وهل اترك العيس العبالى بالضحى .. بركبانها تعلو الديافيا .

[٣] المبقيات : التى تبقى سيرها والنواحى التى تنجو بسيرها أى تسرع عاجوا : عطفوا وفى الجمهرة .. المنقيات المهاريا . والمنقيات : السحاب والمهارى جمع مهرية .
وفى أمالى اليزيدى :
إذا عصب الركبان بين عنيزة وبولان هاجوا المنقيات النواجيا
عنيزة : قارة سوداء فى بطن وادى فلج من ديار بنى تميم .

[٤] فى الجمهرة : ويالبيت فى خزانة الأدب .. كما كنت لوعالوا بنعيك باكيا .

[٥] وفى الجمهرة وامالى اليزيدى : إذا مت فاعتادى القبور فسلمى . وفى سمط اللالى للبكرى صـ٤١٩ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦م.
إذا مت فاعتادى القبور فسلمى على الريم أسقيت السحاب الغواديا
والريم : القبر وانظر شرح سقط الزند صـ١٦٨٧ نسخة مصورة من طبعة دار الكتب سنة ١٩٤٨٩ الناشر الدار القومية للطباعة والنشر .

[٦] المرنبانى كساء من خز ويقال مطرف من وبر الإبل وفى جمهرة وأمالى اليزيدى :
ترى جدثا قد جرت الريح فوقه ترابا كلون القسطلانى هابيا
القسطلانى : الغبار الدقيق .

[٧] أى فى القبر على التراب والحجارة وفى أمالى اليزيدى : رهينة أحجار وترب .